١٦- حُسن الخلق...

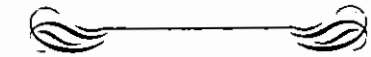

اعلم يا بُني ويا بُنيتي أن حسن الخلق ومكارم الأخلاق من أهم دعائم الإسلام ومقاصدة، ومن أهم سمات المسلم، ومن أهم دلائل إيمانه وحسن عقيدته.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّما بُعِثْتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ ". (١)

غير أن "الدين لا يقف عند حد الدعوة إلى مكارم الأخلاق وتمجيدها. إنه هو الذي يُرسي قواعدها، ويحدد معالمها، ويضبط مقاييسها الكلية، ويضع الأمثلة للكثير من جزئيات السلوك، ثم يُغري بالاستقامة، ويحذر من الانحراف، ويضع الأجزية مثوبة وعقوبة على كلا السلوكين نصب العين". (٢)

وعلى هذا فإن"الدين هو المصدر الفذ المعصوم الذي يُعرف منه حُسن الأخلاق من قبيحها، والدين هو الذي يربط الإنسان بمَثل أعلى يرنو إليه، ويعمل له، والدين هو الذي يحد من أنانية الفرد، ويكفكف من طغيان غرائزه، وسيطرة عاداته، ويخضعها لأهدافه ومُثُله، ويُربي فيه الضمير الحي الذي على أساسه يرتفع صرح الأخلاق". (٣)

---

(١) رواه البيهقي من حديث أبي هريرة.
(٢) الإيمان والحياة ص٢٠١.
(٣) المصدر السابق ص٢٠١.

فَعَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ ، فَقَالَ : " الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ ". (١)

(١) رواه مسلم .

obeikandl.com

فضل حُسن الخلق...

ويكفي في فضل حسن الخلق، تَخَلُّق النبي - ﷺ - به، وأنه جُبل على مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال، وقد مدحه الله تعالى بهذه الصفة الرفيعة بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم : ٤] .

وكان النبي - ﷺ - " يعود المرضى، ويشيع الجنازة، ويجيب دعوة العبد، ويركب الحمار مخطومًا بحبل من ليف، وعليه إكاف من ليف، ويعلف البعير والشاة، ويقم البيت، ويخصف النعل، ويرقع الثوب، ويأكل مع الخادم، ويطحن معه إذا أعيا، ويحمل حاجته من السوق إلى أهله، ويصافح الغني والفقير، ويبدأهما بالسلام ولا يحتقر ما دعي إليه، ولو كان خشف التمر.

وكان خفيف المؤنة، لين الخلق، كريم الطبيعة، جميل المعاشرة، طلق الوجه، بسامًا من غير ضحك، محزونًا من غير بؤس، رقيق القلب، رحيما لكل مسلم، لم يتجشأ قط من شبع، ولم يمد يده لطمع". (١)

وقد وردت أحاديث كثيرة تبين مكانة الخلق الحسن في هذا الدين، وأن لا شيء يسبقه من فضائل الأفعال والأقوال، منها...

مَا وَرَدَ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ مَعَالِيَ الأَخْلاقِ وَيَكْرَهُ سَفَاسِفَهَا ". (٢)

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ ". (٣)

(١) حدائق الحقائق ص١٦١ .
(٢) رواه الحاكم في مستدركه .
(٣) رواه أبو داود وفي رواية أحمد" إن الرجل ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم".

وَعَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ ".(١)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " أَكْثَرُ مَا يَلِجُ بِهِ الْإِنْسَانُ النَّارَ الْأَجْوَفَانِ: الْفَمُ وَالْفَرْجُ ، وَأَكْثَرُ مَا يَلِجُ بِهِ الْإِنْسَانُ الْجَنَّةَ تَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحُسْنُ الْخُلُقِ ".(٢)

وعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا ".(٣)

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا ، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ".(٤)

وروى الترمذي عن عبد الله بن المبارك رحمه الله في تفسير حُسْن الخلق قال: هو طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى.

وإذا أردت يا بُني أن تتخلق بمكارم الأخلاق ومحاسنها : " فاكتم الأوجاع، وأظهر التعفف، واستبطن الثقة، واستشعر اليأس، وحسن الفقر، واصبر على ما أصابك، وارض بما قسم الله لك، وكن من وعْدِ الله على يقين، ومن آثارك في وجل.

---

(١)رواه الترمذي.
(٢)رواه أحمد.
(٣)رواه الترمذي.
(٤)رواه أبو داود .

ولا تتكلفن ما قد كُفِيتَه، ولا تضعن ما وكلت بطلبه، وافتقر إلى الله في كل عطائه، وارغب في النجاة منه.

واعف عمن ظلمك، وأعط من حرمك، وصل في الله من قطعك، وآثر في الله من أحبك، وابذل نفسك ومالك لإخوانك، وارع حقوق المولى في دينك، ولا يعظمك كبير من المعروف تفعله، ولا تحقرن صغيرًا من المنكر تفعله.

واحذر التزين بالعلم، كما تحذر العجب بالعمل، ولا تعتقدن باطنًا من الأدب، ينقضه عليك ظاهر من العلم.

وأطع الله في معصية الناس، ولا تطع الناس في معصية الله تعالى، ولا تدخرن من جهدك عن الله شيئًا، ولا ترض من نفسك لله عملا".[1]

من فوائد حسن الخلق...

١ـ حسن الخلق من أفضل ما يُقرب العبد إلى الله تعالى.

٢ـ إذا أحسن العبد خلقه مع الناس أحبه الله والناس.

٣ـ حَسَن الخلق يألف الناس ويألفه الناس.

٤ـ لا يكرم العبد نفسه بمثل حسن الخلق، ولا يهينها بمثل سوئه.

٥ـ حسن الخلق سبب في رفع الدرجات وعلو الهمم.

٦ـ حسن الخلق سبب في حب رسول الله ـ ﷺ ـ والقرب منه يوم القيامة.

٧ـ حسن الخلق يدل على سماحة النفس وكرم الطبع.

٨ ـ حسن الخلق يحول العدو إلى صديق.

---

(١) رسالة المسترشدين ص١٣٢، ١٣٣.

٩ـ حسن الخلق سبب لعفو الله، وجالب لغفرانه.

١٠ـ يمحو الله بحسن الخلق السيئات.

١١ـ يُدرك المرء بحسن خلقه درجة الصائم القائم .

١٢ـ حسن الخلق من أكثر ما يُدخل الناس الجنة .

١٣ـ حسن الخلق يجعل صاحبه ممن ثقلت موازينه يوم القيامة.

١٤ـ حسن الخلق يُحرم جسد صاحبه على النار.

١٥ـ حسن الخلق يُصلح ما بين الإنسان وبين الناس.

١٦ـ وبالخُلُق الحسن يكثر المُصادقون ويقل المُعادون". [١]

(١) نضرة النعيم ٥/ ١٥٨٦ .

obeikandl.com